

## بين الرافعي والعقادي

للأستاذ محمود محمد شاكر

قرأت ما كتب الأستاذ سيد قطب في المدد السالفين من الرسالة، وكنت حرياً ألا أعبأ بما يكتب عن الرافعي في أوانٍ حول وفاته، وقد تهبأ أهله وأحبابه وتلفت قلوبهم لذكره الأولى بمد أن سله الموت من بينهم اغتراراً

والأستاذ سيد قطب قد أبى له حسن أدبه، وجبل رأيه، ومروءة نفسه، ونبل قلبه، وشرف مقصده، وإشراق تقده، إلا أن ينش ماضي الرافعي وما سلف من أمره، ليستخرج حلية يتحلى بها إذ يكتب عن خصومة بين رجلين: أما أحدهما - أنساً الله في أجله وأمتع به - فما برح بتلطف للناس بما يستجيد من عمل يجدد به مطارف آخرته؛ وأما الآخر - رحمة الله عليه - فبين يدي ربه يتقرب إليه بعمل قد أبلى به أبواب دنياه. فلولا أن الميت لا يدفع عن نفسه في ساعة موته مثل الذي كان يدفع في أيام حياته، وأن ذكر الحى أقرب إلى الناس من ذكر الميت - لكان جديراً بنا أن ندع الأستاذ المهذب الفاضل بتكلم بالذي يهوي على ما خيلت له. فليس للأدب اليوم من الحرمة، ولا فيه من التبل، ولا عليه من الحياطة والحرص، ما يحفز أحداً للمراصة دونه أن يُتمهن أو يستردل

هذا...، وقد جعل الأستاذ الفاضل يستثير دفائن الإحن والأحقاد كانت بين الرافعي والعقادي، ليتخذ منها دليلاً الذي

نبوغك، ومن أوثنها لمع نجمك حتى شهدناه مشرقاً في آداب العرب، متأقماً في سماء هذا العصر. ومن غيرك أجدر بأن يحب المرأة ويحمن إليها ويحنو عليها؟ بل ما يليق بالكاتب المبدع أن يعيش في الأرض التي لا تمطرها المرأة وترهوه على حواشها النضرة ليس كل النساء كجوديت؛ ولكم بين الرجال من هو «لاندر»؛ ولن تكون الحرب إلا ليكون السلم؛ فإذا شئت عواناً مائة كروب البسوس فتجدن من بيننا الكثيرات تقول كل واحدة لك: أنا عدوة الرجل

« دمشق »

رداد صفا كيني

يفزع إليه في أحكامه!! على الرافعي. لا بل على قلب الرافعي ونفسه وإيمانه بعمله وعقيدته فيه!! ثم لم يرض بذلك حتى نفخ فيها من روح الحياة، ما جعلها ممّا يكتب الأحياء عن الأحياء للإبلام والانارة، لا للجرح والتعديل والنقد؛ وكان الفتنة عادت جدعة بين الرافعي نفسه وبين العقاد. ولقد بدا لبعض الناس رأياً فيما كتب الأستاذ المهذب، ولكننا نفيته إذ سئلنا عنه، فنحن نعلم أن العقاد لا يرضى اليوم أن يكتب مثل هذا الذي كتب عن الرافعي. ولقد ساء ظن امرئ بالعقاد ألا تكون للموت في نفسه حرمة، حتى يكون هو بعين عليه أو يرتضيه أو يسكت عنه إلا سكوت التفضيل والاستهانة

فنحن إذ نكتب في ردّ كلام هذا الأستاذ الفاضل سيد قطب لا نبنى أن نسدّد له الرأى فيما يجب أن يرى، فاعلبنا ضلّ أو اهتدي، ولا أن نقيم مذهب الرافعي على أصله وقد ذهب سببه وبقى أدبه؛ ولا أن نسوء العقاد حفيظة تتوارثها له عن الرافعي أو من ذات أنفسنا، فما من شيمتنا مثل ذلك؛ كلا، بل نكتب لتبيط الأذى عن حرّم الموت، وكفى بالموت حقاً وجلالاً

ورحم الله الشعبي فقد كان يقول: « تمايش الناس زماناً بالدين والتقوى، ثم رفع ذلك فتمايشوا بالحياء والتدبم، ثم رفع ذلك فما تمايش الناس اليوم إلا بالرغبة والرغبة. وأظنه سيحجى ما هو أشد من هذا » ولقد جاء وفات ما يحن فيه ظنون الشعبي. فما يتمايش الناس اليوم إلا بئلب الموتى!

والأفا الذي رمى في صدر الأستاذ سيد قطب بهذه الغضبة الجائحة من أجل العقاد؟ ألم يكتب الرافعي للعقاد يوم كان يملك يكتب ويقول؟ ألم يكتب العقاد للرافعي ما كتب؟ ثم نامت الثائرة ما بينهما زماناً كان حده الموت. يقول الأستاذ: إنه - هو لا العقاد - « كان مستعداً للثورة والحقق، لو تناول بعض هؤلاء - يعنى الرافعي ثم مخلوقاً - أدبه، بمثل هذا الضيق في الفهم، والاستفلاق في الشهور... » أفكان كلام سيد المريان - وهو يؤرخ أحقاداً قد سلها الموت إذ سل أسبابها - هو الذي أثار هذا الحى المستمد للثورة على ذلك الميت العاجز عن دفع الثورة؟ ثم ما الذي يحمله على أن يلبس هذه الثورة جلد النقد؟ والمعجب أن يثير ما كتب « سعيد » حيناً

المقاد عن الرافعي ، فلم يكن نيل العقاد من الرافعي — وأما أحبه —  
مما يحملني المداوة له أو يدفع بي إلى الغبط والحنق والثورة  
وخليق بنا وبآدابنا أن نطوي الآن سيئة رجلين قد تقارط  
أحدهما في غيب الله ، وبقي الآخر تحوطه الدعوة الصالحة بطول  
البقاء وامتداد الأجل وسداد العمل

والكلمة الأولى من كلتي الأستاذ سيد قطب ، إنما تدور  
رحاها ورحي (بفضائه) للرافعي — أو كما قال — عن نقي الانسانية  
عن ذلك الانسان رحمة الله عليه ، وخلوه من النفس ، وفقدانه  
الطبع ، وفقره إلى الأدب النفسي — وما إلى ذلك من لفظ قد  
ضل عنه معناه ، وتهافت عليه حده — وأنه كان (رحمة الله عليه)  
ذكياً قوي الذهن ، ولكنه كان منلقاً من ناحية الطبع والأرجحية ،  
وأن أدبه كان أدب الدهن لا أدب الطبع ، فيه اللغات الذهنية  
الخاطفة ، والاعتات العقلية القوية ، ولكن الذي ينقصها أنه ليس  
وراءها ذخيرة نفسية ، ولا طبيعة حية ، إلى غير ذلك مما حفظه  
الأستاذ من شوارد اللفظ ، وأوابد المعاني ... وأسمع جمجمة  
ولا أرى طحناً

وأنا كنت أنتظر بالأستاذ أن يأتي في كلته الثانية بشيء من  
النقد يُنسى إليه ما قدم في الأولى من سوء العبارة وشنعة اللفظ  
في ذكر الرافعي الميت ؛ ولكن خاب الغال ، وجاءت الثانية تدل  
من يغفل عن الدلالة البينة ، على أن هذا الأستاذ الجليل لا يزال  
يستعمل ما يكتب من بفضائه . وهان شيئاً أن يكره الأستاذ الجليل  
رجلاً كالرافعي حتى يأكله السِّل من بفضه ؛ ولكن الأمر كل  
الأمر حيث ذهب يزعم فيما يكتب أن هذه البفضاء التي يستعمل  
منها هي النقد ، وأن أحكامه على الرافعي إنما هي أحكام قاض قد  
لزم التهم حتى أنطقه وأشهد عليه لسانه ، فاستوعب كلامه ،  
واستنبط الحجج عليه من ألقاظه ، واستوثق للتهمة من قوله ، ثم  
بني (الحيثيات) من فحوى عباراته ، ثم حكم وما حكم على التهم  
إلا كلامه ، ولا شهد عليه إلا لسانه

فهذا كان علينا لزاماً أن ننظر في الذي أتى من كلام  
الرافعي ، ثم قوله في فيه ، واستنباطه الدلائل منه ، وتحليله نفس  
الرافعي من لفظه حتى جمعه مستملياً الطبع مسلوب العقيدة . ثم  
هو فوق ذلك لا يزال يبدى ويميد في كلامه ذكر أصدقاء الرافعي

ليس شيئاً في الخصومة بين الرافعي والمقاد ، وهو ليس ينير  
المقاد أحد طرفي الخصومة ، وهو الذي يملك أن يقول لسيد  
أخطأ أو أصاب ... أشهد أن ما بالاستاذ قطب النقد ، ولا به  
الادب ، ولا به تقدير أدب العقاد أو شعره . فإهو إلا الانسان  
وجه بكشفه النور ويشف عما به ، وباطن قد انطوي على ظلماته  
فما يتغذ إلى غيبه إلا علم الله

وأنا أقدم بين يدي كلامي حقيقة لا بد من تقريرها عن الرافعي  
والمقاد ، وذلك أن الرافعي — رحمه الله — لو كان يرى المقاد  
ليس بشيء البتة ، وأن أدبه كله ساقط ذاهب في السقوط ، وأن  
وأن ... مما كان يكتب ليقيظ به المقاد من جراء المداوة التي ضربت  
بينهما — لما حمل الرافعي عناء الكتابة في نقد المقاد وتزييف أدبه  
وإبطال أصل الشعر في شعره . ولو كان العقاد يرى الرافعي بعض رأيه  
الذي كتب لما تكلف الرد على الرافعي ولا التمرض له . وكم من  
رجل كتب عن الرافعي وعن المقاد ونال منهما وأوجع ؛ ولأنه  
ليس يدخل في حسابهما ، ولا بقيان لأمثاله وزناً ، ولا يمتآن  
بقوله ونقده وثورته — فقد تركاه يقول فيكثر فيعمل فيسكت . ولم  
يكن بين أحد منهما وبين مثله كالذي كان بين الرافعي والمقاد

فالرافعي والمقاد أديبان قد أحكما أصول صناعتيهما ، كل في  
ناحيته وغرضه ، وأفنيا الليالي والأيام والسنين في ممارسة ماهو فيه  
وإليه ، وكلاهما يعلم عن عمل صاحبه مثل ما يعلم عنه ، ولا يظن  
بأحدهما أنه يجمل قيمة الآخر . فلما كانت المداوة بأسبابها بينهما  
بدأت قوة تعارض قوة ، ورأى بصارع رأياً ، وكان في كليهما  
طبيعة من العنف والمُرام والحدة ، وولع المقاد بإرسال العبارة  
حين يفض على هينتها صريحة لا صنعة فيها ، وأغرى الرافعي  
بالسخرية والمبالغة في تصوير ما نصبه لسخره وتمكمه على طريقة  
من الفن ؛ فمن ثم ظهرت المداوة بينهما في النقد وفي أذيالها أذى  
كثير وغبار ملؤه الفوازع والقوارص من اللفظ ، وعلى جنباته  
صور ينشأ أحدهما لصاحبه للكيد والغبط والحنيفة ، لا يراد  
بها إلا ذلك . ولقد شهدت أن الذي كان يكتبه الرافعي عن المقاد  
لم يكن عندي مما يحملني على الخط من منزلة المقاد التي كان ينزلها  
في نفسي ، بل أستيقن أن الذي يكتبه إنما يراد به النيل من غيظ  
المقاد لا من المقاد نفسه . وعلى مثل ذلك كنت أجد ما يكتبه